مجلة الرائد

العدد : ٢٢١ الموافق في ربيع الثاني ١٤٢١ هجري ٧/٢٠٠٠ ميلادي

عنوان المقال : من يبني الحاضر ويهيئ للمستقبل ؟	بقلم : د. صلاح الدين النكدلي

قال صاحبي : لقد حزَّ في قلبي « وهنُ العزيمة » الذي استشرى في حياة قطاع كبير من أبناء التيار الإسلامي .. فما هي الأسباب يا ترى ؟

قلت : وما تعني بوهن العزيمة ؟

قال : أعني تلك الحالة النفسية التي تجسِّد في حياة كثيرين قول الشاعر :

كلمـا نـاديتـني : هيـا بنـا ! قلتُ : هيا ! ، وأنا في موضعي

بعد أن كانت قلوب عامتهم متخلّقة بقول القائل :

إذا قيل : مَنْ فتىً ؟ خِلتُ أنني عُنيتُ فلم أجبـنْ ولـم أتبلَّـدِ

قلت : هلاّ ضربت مثلاً يوضح مرادك ؟

قال : إذا دعوتَ عشرة أفراد أعضاء في مؤسسة أو جماعة إسلامية إلى لقاء متفق عليه ، من أجل البحث في موضوع يعود عليهم وعلى الناس بالخير ، فإن نصف المدعوين قد يلبي الدعوة ، والنصف الآخر لا يحضر ، وقد يعنُّ لبعض المتقاعسين أن يتصلوا مبدين أسفهم لعدم تمكنهم من المشاركة !! ، وهناك من يتغيب ولا يشعر أنه أخلَّ بخلق الوفاء . فإذا دققنا النظر في الأسباب المانعة لهؤلاء المتغيبين من الحضور .. فإننا نُصدم حين نكتشف أن معظمهم يتعلل بما لا يصح أن يكون شِبه عذر !! . أما الذين لبوا الدعوة فإن معظمهم يأتي بنفسية « تسجيل الحضور » وليست لديهم نية الاستفادة والعمل الإيجابي .. وتكون نتيجة هذا اللقاء باهتة مؤسفة ، وتلقي في روع المجموعة « **التسيُّب** » و « **فقدان الشعور بالمسؤولية** » و « **الإحباط** » .

قلت : وما أسباب هذه الظاهرة في نظرك ؟

قال : أرى أن الأسباب كثيرة .. ويلوح لي أنها تجتمع في ثلاثة أسباب :

الأول : حب الدنيا والإخلاد إلى الأرض ، إذ لا يخفى عليك أن معظم رجال التيار الإسلامي قد أعلنوا التزامهم بتعاليم الإسلام وأهدافه في سن مبكرة ، فأعطوا العمل الإسلامي من أوقاتهم وراحتهم وإمكاناتهم .. فاستفادوا وأفادوا ، وبمرور الوقت دخل هؤلاء في علاقة مباشرة مع الدرهم والدينار ومع مؤسسات المجتمع .. فنالت الدنيا والروابط الاجتماعية من فئة منهم .. ففقد معظمهم « التوازن » ولم يعد يحركهم ما يعلمونه من النصوص الداعية إلى العمل والبذل والتضحية .. إنهم يعلمون أن واقع الأمة والبشرية يناديهم بقول الله عزَّ وجلَّ : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ ۞ إِلا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** } [التوبة : ٣٨-٣٩] ولكنهم لا يستشعرون المسؤولية ، ولا يشعرون أن التهديد الرباني موجه إليهم !! . فإذا تعارض فُتات المصالح ، أو تعارضت راحتهم أو علاقاتهم غير الهادفة ، مع واجب إسلامي .. تركوا الواجب ومالوا إلى الدنيا والراحة والعبث .

الثاني : ضعف القدرة على إدارة الوقت ، وهذه الآفة تصاب بها الأمم المتخلفة ، وبما أن التيار الإسلامي جزء من المسلمين المتخلفين فإن أفراده يحملون قسطاً من عوامل التخلف ، **صحيح أن الحركة الإسلامية التجديدية قد حرَّكت معاني « الفاعلية » و « الإيجابية » ، وبعثت في الأمة « قيمة الوقت .. وتوزيعه بتوازن على الواجبات » .. ولكن تحويل هذه المعاني إلى واقع وسلوك ليس أمراً سهل المنال .. فإذا لم يستمر المرء في النمو المعرفي والسلوكي ، فإن مفاهيم البيئة المتخلفة هي التي تملأ الفراغات في نفسه .. ويظهر عندئذٍ عدم التوازن في : (إن لربك عليك حقاً ، وإن لنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه)** . والمشكلة هي أن هؤلاء قد يشغلهم عنوان « حق النفس أو حق الأهل » عن بقية الحقوق ، ولذلك فإنهم لا يشعرون بالتقصير في حق الله تعالى وحق الناس .. إلخ .

الثالث : تدني القدرة على التكيف مع الواقع ، ويظهر هذا في مجالات كثيرة ، وأشير هنا إلى اثنين منها :

١- برزت الحركة الإسلامية المعاصرة في ظروف أُقصي فيها الإسلام من مكانته في التشريع والحكم ، فكانت الدعوة إلى « الحكم بما أنزل الله تعالى » من أبرز ما نادت به الحركة الإسلامية ، وكان

معظم العاملين مقتنعين أن الإصلاح يأتي من رأس الهرم « الحكم » ، وحين اصطدموا بواقع الأمة والأنظمة الحاكمة ، وأدركوا أن التغيير الذي يرومونه من خلال « السلطة » بعيد بعيد .. لم يتمكن أكثرهم من إعادة قراءة الواقع واستنباط طريقة أخرى للتغيير والنهوض بالواجب .. وهذا العجز في إعادة القراءة دفعهم إلى العيش في « اجتهاد مرحلة زمنية إلى الواقع والواجبات » وفقدوا المرونة في التعامل والتكيف مع الرؤية الجديدة .. وتحولوا إلى طاقات معطّلة .

٢- بدأت الحركة الإسلامية نشاطها بجيل شكّل جيل الرواد ، والذين استجابوا لهؤلاء من الأجيال اللاحقة شكل معظمهم « صداقات » استهلكت كثيراً من الأوقات ، ولم يتمكن عامة التيار الإسلامي من حسن التعامل مع الأجيال الشابة .. فحصلت القطيعة .. التي نراها « عجزاً في التعرُّف إلى الواجبات المناسبة للأجيال الجديدة » و « هروباً إلى الأمام من مقتضيات الأبوة تجاه جيل الأبناء » .

والإشكالية هي أنك إذا تجاوزت هؤلاء الذين يشكون من وهن العزيمة حزنوا وشوَّشوا ، وإذا نصحتهم تألموا وتأفَّفوا ، بل إن فيهم من يشهر لسان النقد الحاد دفاعاً عن تقصيره ، ولا يكتفي بعضهم بأن العمل الجماعي يحمله ويتحمله ، بل يقف عند كل صغيرة وكبيرة معترضاً .. فهو لا يقدم جهداً ويعوِّق جهود العاملين !!

قلت لصاحبي : لقد سألتني عن أسباب ظاهرة « وهن العزيمة » التي يعبر المصابون بها عن علتهم بـ « الهروب من الواجبات » و « التعلل بأسباب غير واقعية » و « إظهار المثالب من غير الشعور أنهم يساهمون في ظهورها » .. وأراك مدركاً لأسباب كثيرة تقف وراء هذا الداء المجمِّد للطاقات والمُوهن للعمل المنتج !!

قال : لقد سألتُ لأزداد بالمذاكرة معرفة ولعلنا نضع أيدينا على طريقة إيجابية في التعامل مع هذه المشكلة .

قلت: دعني أبرز أمرين لهما تأثير كبير في المعاناة من « وهن العزيمة » :

الأول : **المخاوف التي تمكَّن الفراغنة - بدعم من القوارين - من زرعها في حياة الناس** وهذا على المستوى المحلي وعلى المستوى الدولي .. وهذه المخاوف ظاهرة لا تحتاج إلى بيان .

الثاني : **ضعف العقل عن صياغة صور للواجبات تتناسب مع ظروف الزمان والمكان .. يصاحبه قوة في العاطفة لا حدود لها** ، ولذلك كثرت التضحيات من غير أن تؤدي إلى نتائج إيجابية فأدى الإخفاق إلى وهن في العزيمة في التيار الإسلامي .. وصدق في قول شوقي في وصف أمتنا :

إن الشجاعة في القلوب كثيـرة ووجدتُ شجعانَ العقول قليلاً

قال صاحبي : فكيف نتعامل مع هذه المشكلة التي تربكنا في العمل ، وتنال من حماسة العاملين الجادين .. فمرضى وهن العزيمة موجودون داخل نسيج مؤسساتنا وجماعاتنا ؟

قلت : قبل الكلام عن كيفية التعامل مع هذه المشكلة ، أود أن أقول : إن هذه الظاهرة ليست بمستغربة على الصعيد الفردي أو الجماعي ، بمعنى أنها ممكنة الوقوع ، فقد بيَّن لنا رسول الله ﷺ أن المؤمن قد تمر به أيام يكون فيها نشيطاً إيجابياً معطاءً ، وقد تأتي عليه أيام تفتر فيها هِمَّتُه ، فإذا حافظ في مرحلة خمول الهمة على سلوك قويم مقبول فقد فاز ، وإن استلم لفتاوى النفس فقد خسر ، يقول عليه السلام : (**إن لكل عمل شِرَّةً ، ولكل شِرَّةٍ فترةً ، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك**) صحيح الجامع الصغير: ٢١٤٨ .

بعد هذه التوطئة أقول : يجب أن نفرق في التعامل مع مرضى وهن العزيمة بين أمرين :

① حين يصاب مؤمن بتخامل الإيجابية والفاعلية ، بعد أن كان سباقاً إلى الخيرات ، فإنه ليس من الحكمة ولا الشـهامة أن نتركه ونمضي ، لأنه في هذه الحالة « مريض » سواء كان سبب المرض ضعفه الذاتي أم نالت منه سهام البيئة المحيطة ، وطريقة التعامل معه شبيهة بتلك التي نسلكها حين يصاب عزيز على قلوبنا في بدنه .. وترتكز هذه المعاملة على : **الصبر ، وعيادة المريض ، وبذل كل ما في الوسع والطاقة من أجل البرء .. وإن طال الزمن** .

وكما أن مريض البدن يشغل جزءاً من أوقاتنا وطاقتنا واهتمامنا .. ولكن لا يوقف عجلة حياتنا وواجباتنا .. فكذلك ينبغي أن يكون تعاملنا مع المصاب بوهن العزيمة .

② **أما إذا ماتت إرادة الخير في نفس العامل فكبِّر عليه أربعاً وامضِ إلى العمل الإيجابي المنتج ، لأنك إذا وقفت مع جثة فإن تفسخها يفسد الجو ويجلب الأمراض** .

ثم قلت لصاحبي : إن الذي يصنع الحاضر هم أولئك الذين يشعرون من أعماق قلوبهم أنهم مسؤولون يوم القيامة عن واجباتهم تجاه أنفسهم ، وأسرهم ، والأقربين ، والمسلمين ، والناس أجمعين . وينهضون بهمة وإرادة وتصميم إلى اكتشاف الواجبات الممكنة زماناً ومكاناً ، ويعملون على إيجاد الصيغ العملية لهذه الواجبات ، وينزلون إلى ميدان البذل والعطاء ، ولا ينسون أنهم مطالبون بتنمية علمهم وتطوير إمكاناتهم باستمرار .. وهؤلاء هم الذين ينهضون من الكبوات البشرية : { **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ** } [الأعراف : ٢٠١] ، وينصرون الله تعالى في أنفسهم فينصرهم الله ويكتب على أيديهم الخير للناس : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** } [محمد : ٧] .

فالذي يعمل في الحاضر على بصيرة هو الذي يهيئ لخطوات مستقبلية جادة واعدة .. فكن يا أخي المؤمن من هؤلاء المجاهدين ، وإياك ثم إياك أن تكون من المعرضين عن العمل الطيب .. وتذكَّر دائماً قول الله تبارك وتعالى:{ وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } [التوبة : ١٠٥] .

وأنت يا من تشكو من وهن عزيمتك .. راجع نفسك ، واشحذ همتك والتحق بركب العاملين .. الغيورين على أنفسهم وعلى الناس .. فإنك إن فعلت ذلك أحسنت إلى نفسك بإخراجها من الركود الآسن .. فالحركةُ ولودٌ والسكونُ عاقر .. ولا تنسَ حكمة تنسب إلى الشافعي رحمه الله تعالى :

إني رأيتُ وقوفَ الماء يفسدهُ إن سال طاب وإن لم يجر لم يطبِ

وتذكَّر ما حييتَ قول الله تبارك وتعالى :

{ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ۞ يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ... } [غافر : ٥١-٥٢] .

فلا تظلم نفسك وإخوانك والناس يا أخي المؤمن !! .. فإنك إن فعلت ذلك عشت مع قول الأستاذ عصام العطار

ويشرق الحقُّ في قلبي فلا ظُلَمٌ ويَصدُقُ العزمُ ، لا وهنٌ ولا سأمُ
دربٌ سلكناه والرحمن غايتنا ما مسَّنا قطُّ في لأوائهِ ندمُ
نمضي ونمضي وإن طال الطريقُ بنا وسال دمعٌ على أطرافه ودمُ
يحلو العذابُ وعينُ الله تلحظنا ويَعْذُبُ الموتُ والتشريدُ والألمُ